

الابتدال والحدائثة: هل الترابط بينهما سمة العصر

ظاهرة انتشرت في كل شيء حتى صارت مبحثاً فلسفياً



هل يجب أن تكون مبتدلاً لتكون ابن عصرك (لوحة للفنان بسيم الربيع)

**قيم التفتح الحديث
والفردانية التي تزعم أنها
سيدها نفسها أدت إلى
فضاظة الابتدال، وأفرزت
عكس ما تصبو إليه**

أيضاً، فمن وجهة نظر إيثيقية، ندفع عنا الابتدال حتى وإن كان يخصنا جميعاً، ويتصدنا، وقد يغوبنا أحياناً. ولكن الأمر لا يختلف إذا نظرنا إلى الابتدال من وجهة نظر سياسية، لأنه يعني أيضاً ما يشترك فيه، لأنه قد يعني المهذبين وغير المهذبين، فلئن كان يفرق بين الناس، فإنهم يوحدهم أيضاً، ولو بقدر ضئيل وأمد وجيز، لاسيما عندما ينجح في إبعاد المرء عن ذاته، في حالات الغضب والهيجان، ويجعله في حال لا يقوى معها على كبح انفعاله وسعاره. وما الفرق في نظر الكاتب بين المؤدب والمبتدل إلا من جهة المظهر الخارجي، أو ما يسميه البريق، فالتمنن والتحصن والتأب لا تصمد أحياناً أمام الابتدال.

ولعل أطرف ما في الكتاب ربطه ظهور الابتدال بأسس الحدائثة، التي قامت على الفردانية والمادية والتساوي في الهيئة والسلوك. فبعد أن كان السابقون يعيشون تحت سطوة أمثلة مرغمة، يعملون على الامتثال لمعايير محددة في الخطاب والسلوك واللباس، وهم على قناعة بأن للجمال والحق وجوداً مستقلاً عن الرغائب والأذواق الخاصة، صار الحدائثيون منذ عصر الثورة الفرنسية إلى الآن، يفعلون العكس، فهم يريدون أن يكونوا أحراراً، ذوي سيادة فردية، مكتفين بذواتهم، ولا يقبلون بالتالي أن يرغموا على اتباع أي شيء، ويفخرون بأنهم أصلاء وعقويون، ويؤمنون بأن الجمال ذاتي وسببي، وأن كل الأذواق موجودة في الطبيعة، ما يجعلها في نظرهم متساوية، لا فضل لهذا على ذلك. وكان من نتيجة ذلك أن قيم التفتح الحديث والفردانية التي تزعم أنها سيدها نفسها أدت إلى فضاظة الابتدال، وأفرزت عكس ما تصبو إليه، فالحرية تحولت إلى تهتك ينافي الحشمة والوقار، وأنت إلى إنكار ذاتها نفسها ودمرت بذلك العيش المشترك.

ويبقى السؤال: كيف يمكن للفرد أن يكون ابن عصره دون أن ينحدر إلى الابتدال؟

هل يعني الابتدال إساءة الكلام أم إساءة السلوك أم إساءة الأدب؟ وهل يقوم على التشبث بسلوك وأقوال وأفكار مبتدلة لتأكيد الذات، أم يقوم أساساً على ادعاء تأكيد الذات من خلال تلك الصفات والممارسات؟ هنا قراءة لكتاب "الابتدال والحدائثة" للفرنسي برتران بوفون الذي يحاول اقتفاء مسار ظهور الابتدال، وتحديد مفهومه.

المقصود بعبارة vulgarité الخمول والتهاون وعدم أخذ الأمور مأخذ الجد. ولم تكتسب العبارة معناها الحالي إلا عام 1802 مع الكاتبة جرمان نيكير الشهيرة بدمام دوستائيل (1766 - 1817) حين لاحظت أن المبتدل تنقصه دائماً استقامة في الهمدوم والفكر ونصيب من الوقار، وأنه يشعر بكونه في حل من الأعراف والقواعد الاجتماعية وأداب التحضر والذوق السليم، ويباهي بذلك كله سرّاً وعلانية، أي أنه يفترق لللباقة والثقافة والتسامي، ولا يخجل أن يحوز تلك الصفات المخلة، بل يتباهى بها.

الابتدال والحدائثة

رغم أن فاقد الذوق واللباقة والكياسة لم يخل منهم عصر، فإن سلوكهم قبل ذلك التاريخ لم يكن يجد تبريراً في محاور التطورات التاريخية حسب الكاتب، ومن ثمّ ظل الابتدال في الثقافة الغربية غائماً، دون تحديد مفهومه، لأنه ليس ظاهرة واضحة المعالم، محصورة في تعريف، وإنما هو سلوك يملك قدرة على الرواج والانتشار، أو التراجع أمام خصم عنيد، وحتى المداخلة بشكل يغري سامعه، فيسقط في تقليده ومجاراته.

وفي رأي الكاتب أن الابتدال تجتمع فيه عناصر ملتبسة، لافتة حينا وغائمة حينا آخر، شائنة ومتفحشية، ما يجعل الإلصاق بمعانيه أمراً غير يسير. وهو ما سعى إلى الإمساك به انطلاقاً من محاولة دمام دوستائيل الأولى، أي منذ نشأة الحدائثة التي صبغت من الفردانية والنفعية والنزعة الاستهلاكية حتى استفحالها الحالي، لينتهي إلى أن الابتدال يدل، في صبغة محايدة، على المشترك، أي ما يشترك فيه أكبر قدر من البشر؛ مثلما يدل، في صبغة قدح ودم، على كل ما هو معتاد وتافه ومستهلك وريء ومفوض. وموقفنا منه غير محدد هو



أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

كثيراً ما نقرأ في الصحف السياسية وعلى صفحات التواصل الاجتماعي تنديداً بالابتدال الذي تنسم به برامج بعض القنوات التلفزيونية الخاصة في تونس، وما يتخللها من غناء سوقي ومزح لا تختلف بذاعته عن لغة الزعران والمنحرفين، وما يتخلل به مدعوها من البسة أشبه بأزياء كرنفال.

كل ذلك يدعو مسائرة العصر ومخاطبة الشبيبة بلغتها، وما هي في الواقع إلا مسامرة لما يجد في بعض البلدان الغربية، حيث اجتاحت الابتدال الفضاة العام، عن طريق تغير الخطاب وانتشار الإعلانات الإشهارية والموضة والمواقع الاجتماعية وتدني مستوى الحكم، إذ لم يسلم من الابتدال حتى قادة دول عظمى أمثال بركسوني وساركوزي وترامب.

مبحث فلسفي

الحق أن الابتدال استشرى في كل شيء، في الكلام والسلوك، في الهمدوم والمظهر، في السير والركوب، في القول والكتابة، حتى صار مبحثاً من مباحث الفلسفة، كما هو الشأن في كتاب "الابتدال والحدائثة" للفرنسي برتران بوفون الذي حاول توصيف هذه الظاهرة، وفهم أبعادها، والبحث عن أصولها.

ولئن كان أصل المفردة في اللغة العربية يحيل على بذاءة القول وبقاها الهيئة وركاكة الأسلوب وإراقة ماء الوجه، فإن أصل الكلمة في الفرنسية مشتقة من vulgaire بمعنى ما هو مشاع أو مشترك أو عام، دون أن يحمل بالضرورة معنى الاستهجان، فاللغة المبتدلة هي تلك التي يستعملها عامة الناس، ولا علاقة لها بالفحش والبذاءة، بينما كان



المظاهر الثقافية في انتفاضة أكتوبر العراقية

تتويج جديد لمركز الإمارات للدراسات والبحوث

أكد السويدي، أن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ومن خلال فوزه بجائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة، في مجال "جهود المؤسسات والهيئات"، فإنه يحرص أشد الحرص على الإسهام في كل ما من شأنه إثراء المشهد المعرفي، عبر جهود كبيرة والثقافات نوعية أهلت لنيل هذه الجائزة عن جدارة واستحقاق، انسجاماً مع رؤيته القائمة على تحويل الفكر والمعرفة والثقافة الإنسانية إلى رسالة عالمية، تعكف الوعي الإنساني وتزوده بكل القيم والممارسات العلمية والإبداعية المؤثرة.



المركز يتوج بجائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة لقاء إسهاماته الثقافية والمعرفية البارزة

وتعكس جائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة، تكريماً خاصاً لتميز مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في مجالات الترجمة، واعترافاً بجهوده المبتدلة في هذا المجال، التي تسهم في نقل المعرفة من إسهامات معرفية أثرت الفكر الوطني والاقليمي والدولي.

الرياض - فإن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية بجائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة، في مجال "جهود المؤسسات والهيئات"، وذلك تقديراً لدوره المتميز وجهوده النوعية على الساحة العلمية والثقافية، والتزامه بمواصلة التأثير إيجابياً في الساحة المعرفية الوطنية والإقليمية والدولية. ويعدّ فوز مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بجائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة، التي أعلنت أخيراً، دليلاً على الأهمية التي يحظى بها المركز على الساحتين العربية والدولية في المجالات المعرفية، التي تسهم في إثراء الساحة العالمية، وخاصة في ما يتعلق بالأعمال المترجمة من اللغة العربية وإليها، وبما يعزّز التواصل بين الثقافات ويثري المكتبة العربية بالمصادر المعرفية التي تدعم خطط وبرامج التنمية المستدامة.

ويهدف المناسحة، قال الدكتور جمال سند السويدي، مدير عام مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، إن فوز المركز بهذه الجائزة الرائدة لهو وسام فخر جديد يضاف إلى سجل الإنجازات التي حققها خلال مسيرته في الـ 25 عاماً الفارطة؛ ودخوله فضاء المعرفة، من خلال إصداراته وترجماته، بقوة وتأثير فاعلين، في المجالات العلمية والثقافية والأدبية وغيرها، كما أن الفوز بها تأكيد لأهمية ما قدمه المركز من إسهامات معرفية أثرت الفكر الوطني والاقليمي والدولي.

الحط من قيمة الشباب الذين أمسكوا معظم الجسور الواصلة إلى المنطقة الخضراء منذ ما يزيد على شهرين. وصاروا فنارات في الروح العراقية الجديدة التي تحررت من الكثير من عوائق السلطة ومحدداتها الطائفية السانحة. ومنصاته اليومية التي يتبارى فيها الشعراء في إلقاء قصائد الحماسة الوطنية وفصح سلوك السلطات الثلاث التي كادت تتبع البلاد إلى إيران، وهو ما عكسه الشعر الشعبي الذي يلامس ضمائر المنتفضين والارتجالات (الهوسات) العشائرية ذات الطابع التحريضي المناوئ للسلطة صراحة. وما تزال أغنيات الحماسة الجديدة التي يكتبها ويلحنها شعراء هواة تثير المشاعر؛ مثلما لا تغفل متاحف الشهداء الصغيرة التي عملت بطريقة جاذبة وفي أمكنة بسيطة من ساحة الأمة المتوارية خلف نصب الحرية.

نقف ساحة التحرير الواصل بين ساحة الخلداني وساحة النصر والمهمل منذ ستة عشر عاماً عاد له الشباب الحياة بالرسوم والجداريات الكبيرة، وصار مرصفاً حراً للموهوبين والفنانين الشباب الذين تركوا بصماتهم الجمالية عليه، وما يزال مزاراً للجماهير المتدفقة التي ترى فيه نورا جديداً بألوانه الزيتية البارقة ولوحاته وبوستاراته التي تحكي قصة شعب يريد التحرر من سلطة الفساد، يضاف إلى كل هذا السبورات الحرة التي يكتب عليها الناس ما يريدون من خواطر وأبيات شعرية قصيرة تعبر عن لحظة التواجد النفسي المشارك لفعاليات التظاهرات.

ومع كل الصحف اليومية والأسبوعية "المبتدلة" في بغداد والمحافظات، إلا أن الصحف التي اصدها شباب ساحة التحرير لها نكهة خاصة ولون جديد من الصحافة الحرة التي تعبر عن روحية المتظاهرين والثوار والشارع العراقي كله، وتعبر الخطوط الحمراء الرسمية لتكون صوت الميدان والشارع الحي الذي يرافق المتظاهرين من الجيل الجديد، الذي فاجأ السياسيين بحيوته وقدرته على الابتكار والتجديد، مثلما عكس بجديّة واضحة النوع الثقافي الذي ما يزال رافداً مهماً من روافد الانتفاضة، على عكس ما أشاعته السلطة من أن المتظاهرين هم من "صغار السن" و"مراهقين" و"مندسين" و"طرف ثالث"، وما إلى ذلك من تشبيهات يراد منها

والمعرفية العامة في أوقات النهار والليل، وأقيمت مسارح الفرجة عُرضت عليها مسرحيات مُرتجلة من قبل موهوبين أبرزوا قدراتهم الفنية على نحو واضح في فضح سلطة الفساد. إضافة إلى المسيرات الجماهيرية على طريقة البانثوماييم الصامتة وهي تشكل مشاهد مسرحية لها دلالات رمزية واضحة في الاحتجاج، ثم الندوات الثقافية والسياسية والمحاضرات اليومية في الخيام المنصوبة في كل مكان، كما أن الشعارات الثقافية التي تحض على المعرفة والعلم يمكن مطالعتها في كل اتجاه على مدار هذه المساحة التي تحولت إلى مدينة ثقافية وسياسية واجتماعية كاملة بين نصب عملاق وجدارية عملاقة كلاهما ينتصران للحرية، فتؤججان روح الحماسة.



الثقافة هاجس المنتفضين العراقيين



وارد بحر السالم
روائي عراقي

ثمة موازنة بين الثقافي والاجتماعي في العراق منذ أكثر من شهرين. ولعل الثقافي في مشهده المبتدلة أخذ نسفاً جمالياً وتحريضياً لافتاً. فعلى نحو غير مسبوق في الانتفاضات والثورات والاحتجاجات العربية، تحولت ساحة التحرير العراقية إلى ورشة عمل كمدنية ثقافية شاملة، تراقف الهدير اليومي للمتفضين الشباب وهم يمستكون حتى اليوم ثلاثة جسور استراتيجية تتجه إلى المنطقة الخضراء.

وليس غريباً أن ساحة التحرير؛ جمره الانتفاضة ومكانها الرمزي؛ محاطة بمعالم فنية تاريخية معاصرة تروي حكاية الثورات العراقية السابقة، فنصب الحرية للفنان الراحل جواد سليم، والذي ينصف ساحة التحرير هو أبرز المعالم الفنية العراقية، وعلى امتداده شرقاً تنتصب جدارية كبيرة للفنان الراحل فائق حسن، وهي تستدعي فكرة الحرية أيضاً.

وهذه المساحة غير الكبيرة التي يرباط فيها شباب الانتفاضة زخرت بكل المعاني الثقافية خلال أقل من شهرين، وتحولت إلى مشاهد رائعة وأماكن للتنوير والتثوير وتوصيف الحلقات الثقافية من دون خلفيات أيديولوجية مسبقة ولا شعارات للاستهلاك الثوري المؤقت، فقد تورتت المكتبات المجانية في زوايا متعددة منها باكشاك صغيرة وخيام يطالع بها الشباب الكتب الأدبية